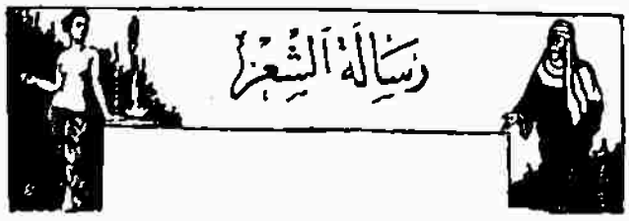

قصة واقعية

دميـــة (١)

« إلى روح الطفلة فوزية »

للاستاذ إبراهيم العريض

مدت لها الأم واحتبها ... كأنها صورة الحنان
صبية عرشها الحنايا ... ما جاوزت دولة الثمان
خفيفة الظل ، ذات زهو ... تنمس فى جفنها الأمانى
ما أنضر الروض فى صباها ... وكل ما فيه وردتان
عالمها - لو ترى - صغير ... لكن لها فيه ألف شان
تعقد أعراسها ، فتأتى ... ماشئت فى العرس من أغان
بلا معان . . وإنما السحر ... كله حيث لا معان
تسمعها دمية . . جلتها ... والعرس معقولة اللسان
كحلاء . ترنو لها بصمت ... إذا استقلت بها اليدان
تفتح العين لاستماع ... وتغمض العين بعد آن
تجد فى حبها وتلهو ... فالجد واللهو توأمان
حتى إذا رنقت عيناه ... مال بها النوم فى ثوان
بين يديها الحياة حلم ... فهى من الليل فى أمان

• • •

جاءت إلى الأم ذات صبح ... فطوقتها براحتين
وبادلتها بقبلة — لم ... تجاوز الثغر — قبلتين
« أماه ! ما بال خالتى لا ... تأتى به كى تقر عينى
أود أن أرتديه حالا ... فإن للعرس جلستين
فأريح مجنونة ، وأخشى ... إذا تعادت فى الضحكتين
- ضحكتها تعبر الصحارى ... كأنها ثورة الحنين
وضحكة . . والنخيل تومى ... برأسها ! بينها وبينى -
أخشى . . على دميتى أذاها ... وما أحق الدمى بصون
قالت : « دعينى بنيتى ! فى ... أشعة الشمس غمضتين
فالبرد فى لذعه شديد ... بل أنا منه فى شدتين
فربما احتاج نظرة منو ... بك الموشى ، أو نظرتين
وعدك ألا يحين وقت الـ ... صلاة حتى أفى بدينى
فتمرحى من صباك بضا ... بين الصبايا بحلتين

• • •

ما أدبر الظهر فى ارتماش ... كأنه مدره وقور
حتى أتت كالمهار تعدو ... لأمها تغرها بنير
« أماه ، أماه ، طالعينى ... فى بخنق ، إنه كبير
ألا يرى شكله جميلا ... على فى الريح إذ يطير ؟ »
قالت لها : « لبسة الموانى ! ... عشت كما شئت الزهور »
ها هى تختال فى المذارى ... بحلة يلتقى بها السرور
ودمية الجلبس فى يديها ... قد لفها البخنق الصغير
لا تسمع الأذن حيث زفت ... غير زغاريد ، يا طيور !
أو تبصر العين حيث حلت ... إلا جنانا فالحور حور
حتى إذا الأفق حال ورداً ... وماج فوق الخضم نور
كأنه ضحكة المرايا ... فى يد حسناء تستخير
وجاء يعدو بموكب الليل ... - يمدها - الكوكب المنير
عادت إلى البيت ، كل خود ... تود لو أنها الأخير

• • •

وسوت الأم مهدها فى ... ركن ، وعادت إلى الحنيه
فأبصرتها ، وفى يديها ... دميتها ، لم تزل أبيه
فالتفتت نحوها ، وقالت : ... « ألا تكفين يا صبيه ؟
كفاك طول النهار لعباً ... هيا إلى النوم كالبقيه »
أواه ما أرخص الغوالى ... عند الذى يجهل القضيه
فلملمت ذيلها امتثالا ... وضاحكت أمها تقيه
« أماه ! هل تسمحين لى أن ... أنام فى بخنقى المشيه
فدميتى لن تنام إلا ... معى هنا ، إنها حبيه
لقد قضينا النهار أزجى ... لها ، فتزجى لى التحيه
إنى لأرجو لها ، كما قد ... ترجو ، من النوم لى هنيه
والبرد يسرى إلى عظامى ... كأنه البرد ذاب فيه

---

(١) ولمت حوادث هذه القصة المؤلمة فى البحرين ليلة الأربعاء ٧ فبراير ١٩٥٠ . عندما شب حريق . . أخذت تتلاعب بوهجه الريح . . فاتم اطفاء ألسنه إلا بعد شق الأنفس ثم . . »

فدثرينا مما من الليل ، هي مثلي تخشى دجيه
يا دميتي! أنت ذات عرش فلا تجوري على الرعيه..»

• • •

وداعب النوم جفنها فى لمح فكفت عن منتجاها
وأزلتها الأحلام ، فى زو رق ، من الخلد فى رباها
فأبصرت نفسها توالى فى جنة سيرها شداها
فتحتها العشب حيث داست فتح نواره وتاها
وفوقها الورق كل ورقاء ذوبت نغمة حشاها
وحفها الورد .. كل ورد ينفح فى ردنه شذاها
وخرخر النهر من بعيد يحمى على شله خطاها
وحلقت حولها لدات من كل لكلاء فى صباها
كأنهـــا النرجس الندى تكاد تلقى لها نداها
يجذبنها تارة ، وأخرى يدفعن فى جنبها سواها
حتى تراءت . وتغرها فى افتراره ، معلن رؤاها
وأين عنهن من رعنها حبا بحب .. لم لا تراها
فضمت الدمية التى لم تزل إلى جنبها ، يداها

• • •

وظلت الريح من قريب تسمعها نوحة الثكالى
كأنها فى الركاب شخص ثار على الحق ، فاستطالا
أرسل للفتك خيله . فهو لا ينى يطلب النزالا
تلهب بالسوط ظهر بيت يأبى لها ركنه امتثالا
وعاود الحـــلم جفنها ثا نيا ، فتاهت فى الحلم حالا
فأدركت نفسها على شا طئ ، وأمواجه تلالا
وكلما أومضت لهـــا بر قة ، همى غيثها انهطالا
ولم يكن مزنه كماء ال سماء ، بل كاللظى اشتعالا
حتى دنت لجة ، وكادت تمضى بها .. قصفها تعالى
وغام فى وجهها ضباب يخنق أنفاسها سعالا
فأفلتت من يمينها عر سها ، فألقت لها الشمالا
واستفزعت أمها بصوت فاكتنفتها «روح» أحست فى حضنها الدف ، والظلالا

• • •

دوى مع الريح صوت ناع فدط من الليل فى سكونه
فالأم إذ تستفز ، تاقى من أرضه على جبينه
وهالها أن ترى لساناً قد سله الموت من كمينه
يلحس أطراف كل شىء فى البيت من سقفه لطينه
حتى غدا البيت فى اظلام كنقطة النون وسط نونه
فالريح نار ... فى وجهتيه والنار ريح ... على متونه
غلغل فى ثوبها ، ولما يسر إلى الرأس فى قرونه
وبادرت للرضيع ولمى بمسكة العقل فى جنونه
واختطفته توا أتجرى به على النار ، أم يدونه ؟
وتدفع الباب دفعة ، غا درته محنى على عرينه
للريح فى سمعهـــا دوى كنكسة الطفل فى أنينه
وأبصرت حولها رجالاً كل يدارى على قرينه
فولولت : «أدركوا فتاتى ياغصتها اللدن فى أتونه!»

• • •

واحتملوها فى غشوة ، لم تطل على البرد غير ساعه
فاسترجعت وعيها ، لتاقى رضيعها باسطاً ذراعه
يلتمس الثدى فوق صدر وكما مسه أضاعه
فاحتضنته بلا شعور قد جدت عينها ضراعه
كم سمعت باسمها يناى فانتفضت . لو لها استطاعه
فما استبانت إلا وجوهاً يذرى عليها اللظى قناعه
وقال من قال «بترا قد نجت !.» ولم تنتظر سماعه
فساءلت «أين خلفوها ؟ من ذا رآها من الجماعه؟
فوزيتى .. ليتنى فداها ألا كريم يعـــد باعه
لحلها ، فاللهيب يعمى أخشى على عينها شعاعه
وكم أرادت ـ وما أرادت ـ تنعى على عمرها ضياعه
لولا نساء حسر ، لديها ناشدنها الصبر والقناعه
وحولها الخلق فى هياج يبدون سمعاً لها وطاعه

• • •

وصعد الناس ـ بعد حبس ـ أنفاسهم ، إذ خبا الشرار
ظلوا إلى الصبح فى انتظار والآن لا ينفع انتظار
وأقبلوا يبحثون خبطاً فالطين والماء حيث داروا
فلم يكد ـ بعدهم ـ لبيب يدور للبحث حيث داروا
وزحزحت كفه سياجاً ما زال للجمر فيه ثار
حتى اعترت جسمه قشعريـ ـرة ، ودارت به الديار
فقض من طرفه ارتياعاً يا هول ما غيب القبار !
لقد رأى تحتـــه فتاة جلاها فى الردى الوقار
قد مست النار حاجبيها ولم تمس اليدين نار